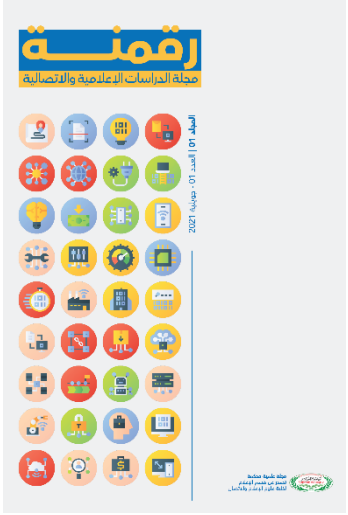


رقمنة
مجلة الدراسات الإعلامية والاتصالية

المجلد 04 | العدد 02
ديسمبر 2024
الصفحات 39 - 47

ردمد | ISSN-2773-4285
EISSN | 2830-8417
الإيداع القانوني | 07/2021
العنوان | 11، طريق دودو مختار، بن عكنون، الجزائر العاصمة.
الفاكس | 50 88 23 (023)
الهاتف | 75 29 62 (0561)

تاريخ الاستلام 2024/01/29
تاريخ القبول 2024/02/29
تاريخ النشر 2024/12/26

المؤلف المرسل |
ريضا بن مقلة

مقاربة نقدية لظاهرة فوضى المفاهيم في حقل علوم الاعلام والاتصال في الفضاء العربي

A critical approach to the phenomenon of conceptual chaos in the field of media and communication sciences in the Arab space

حميد مهبالي
البليدة 2 لونيسي علي (الجزائر)
hamidmehbali85@gmail.com

ريضا بن مقلة
البليدة 2 لونيسي علي (الجزائر)
rbenmokla@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية ظاهرة فوضى المفاهيم وحالة الشواش الاصطلاحي في حقل علوم الاعلام والاتصال في الفضاء العربي، وهي لا شك ظاهرة تُشكل تحِديًّا كبيرًا وواضحًا أمام التطور الطبيعي لهذا الحقل الفتي الذي استطاع عن جدارة مسنودًا بالتطورات المتسارعة لتكنولوجيات الاتصال من أخذ مكانة مرموقة بين مختلف الحقول المعرفية والتخصصات العلمية في مختلف الدول والمجتمعات ، التي تتفاوت طبعًا في مدى حضور هذا الحقل ومستوى التقدم والتطور الذي بلغه ، ففي المنطقة العربية عموما والتي تعتبر الجغرافيا الجزائرية امتداد طبيعيا لها ، مازال هذا الحقل يسير بخطوات بطيئة ، نظرًا لوجود الكثير من العوائق والمطبات التي تعرقل وتحول دون أنْ يأخذ هذا الحقل مكانته الأساسية التي أصبحت ضرورية في ظل بروز وتخلق ظواهر اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية ، ناتجة عن التطور التكنولوجي الهائل الذي جعل من التغير حتمية اجتماعية وطبيعية ، ويعد بتغيرات جذرية وعميقة وواسعة وبعيدة الأثر ، وصفها " جان بورديار " بالقيامة الثقافية.

الكلمات المفتاحية : فوضى المفاهيم ، حقل الاعلام والاتصال ، الترجمة.

Abstract:
This research paper addresses the phenomenon of conceptual chaos and terminological confusion in the field of media and communication sciences in the Arab world. This phenomenon is undoubtedly a major and clear challenge to the natural development of this young field, which has deservedly, supported by the accelerating developments of communication technologies, taken a prestigious place among the various fields of knowledge and scientific specializations in different countries and societies. These societies vary, of course, in the extent of the presence of this field and the level of progress and development it has reached. In the Arab region in general, which considers Algerian geography a natural extension of it, this field is still moving at a slow pace, due to the existence of many obstacles and pitfalls that hinder and prevent this field from taking its essential place, which has become necessary in light of the emergence and creation of social, psychological, economic, and political phenomena, resulting from the tremendous technological development that has made change a social and natural inevitability, and promises fundamental, deep, wide, and far-reaching changes, described by "Jean Baudrillard" as cultural resurrection.

Keywords: Conceptual chaos, field of media and communication, translation.

1. مقدمة:

تعد علوم الاعلام والاتصال حديثةٌ نسبيًا ، فهي مرتبطة في ظهورها بنشأة وسائل الاعلام والاتصال الحديثة وتطورها ، وقد بدت في البداية أنّها علوم تطبيقية وبراغماتية غايتها خدمة هذه الوسائل ، لكن سرعان ما بدأت تتبين الحدود وأخذت تأخذ هذه العلوم مكانتها اللائقة كلعوم معترفٍ بها ، خاصة بعد التراكم المعرفي والعلمي والنظري الذي حدث بفعل البحوث والدراسات الكثيرة الجادة والرصينة أين تشكلت مجموعة لابأس بها من النظريات والأنساق التي استطاعت تفسير الكثير من الوقائع والأحداث والسلوكات الاعلامية والاتصالية ، الأمر الذي جعلها تأخذ مكانتها الأكاديمية في كل الجغرافيات ولم تختلف في ذلك الجغرافيا العربية ولم تتخلف في إنشاء الكليات والمعاهد الخاصة بعلوم الاعلام والاتصال ، لكن الأمر بقي في نطاق النقل والترجمة عن الغرب ، وهو ما خلق بعض الاشكالات والمشكليات التي ترتبط بهذا الحقل المعرفي ، ولعل أهم مشكلة يشهدها هذا الحقل هو فوضى المفاهيم التي تسود فيه فإلى اللحظة مازال هذا الحقل المعرفي يشهد فوضى عارمة واشواش وضبابية على مستوى المفاهيم والمصطلحات وكذا على مستوى المعاني والدلالات وهو ما يعوق ويعرقل التراكم المعرفي والعلمي الكفيل بتحقيق التطور الطبيعي المأمول في هذا الحقل، ومواكبة التطورات المستجدة والمتلاحقة في وسائل الاعلام والاتصال ، ومن جاءت ورقتنا هذه الورقة البحثية من أجل عمل حفر معرفي وعمل تنقيب علمي بحثًا عن الأسباب التي تقف خلف فوضى المفاهيم التي تسود وتسيطر في الحقول المعرفة عامة وفي حقل علوم الاعلام والاتصال خاصة في الفضاء والجغرافيا العربية ، بالاضافة إلى تقديم بعض الحلول الكفيلة برفع هذا ذلك الشواش المفاهيمي والمصطلحي وتلك الضبابية والفوضى المعرفية على مستوى المعاني والدلالات.

2. في معنى المفهوم :

يرجع لفظ المفهوم concept في اللغات الأوربية إلى الأصل اللاتيني conceptus الذي يرجع بدوره إلى الفعل Concipereالذي من بين معانيه التصور والفهم، والمفهوم من حيث دلالته هنا يُحيل على كونه نتاج تمثل ذهني، غير أنّ التمثل الذهني لا ينتج عنه المفهوم فقط ، بل ينتج عنه أيضًا نتاجًا آخر ، قريب من معنى المفهوم وهو الفكرة idée ، فهذه الأخيرة تلتقي مع المفهوم في خاصية أساسية مشتركة ، وهي أنّها مثله نوعٌ من التمثل الذهني ،الأمر الذي يجعلنا نطرح التساؤل التالي :

بماذا يفرق المفهوم عن الفكرة ؟ وبمَ يمتاز عنها ؟

يشير معجم " فولكيي" إلى أنّ الفكرة تنتمي إلى اللغة الشائعة وهي أمرٌ شخصي وذاتي ، بينما المفهوم هو أمرٌ موضوعي لا مجال للذاتية فيه ، أي يُمكن أن تكون لديّ فكرة عن " العدالة" غير أنّ مفهوم العدالة هو مستقلٌ عني (الطيب، 2020).

وفي هذا الصدد يميز لويس كلود باكن (Louis-Claude Paquin) المفهوم عن الكلمة والمصطلح بالقول: إن الكلمة تأتي من الاستعمال اليومي للغة، فيقوم المعجميون بتسجيلها وتعريفها لتتشكل منها القواميس، وتصبح مقبولة في الاستعمال اليومي. وتُعد المصطلحات مجموعة من الكلمات المتخصصة والمتعلقة بمجال محدد من النشاطات الإنسانية المرتبطة بالعلوم والتقنية على الأرجح ، وهي نتيجة نشاط معياري يمنحها معنى محددًا بعيدًا عن كل غموض أو ضبابية . أما المفهوم فلا يحيل إلى شيء أو كائن أو فكرة، لأنه عمل ذهني داخل نسق فكري ، ومعطى مجرد أو "رمز" للدلالة على شيء ما أو على خواص هذا الشيء ، أو لظاهرة أو سلوك محدد؛ وبهذا يُعتبر قنطرة عبور من المجرد إلى عالم الحس والواقع العيني.

وهنا تبدو المفاهيم خلاصة وعصارة الفكر حول ظاهرة ما وأداته وليس الظاهرة نفسها . ولمقاربة أكثر لظاهرة المفاهيم وضبطها بشكل دقيق ، وضع بعض الباحثين طريقة إجرائية تساعد على تفكيك وحلحلة بعض المفاهيم إلى مكوناتها الابتدائية و عناصرها الأولية بحيث يصبح بالامكان استشفاف خصائصها، أو تحديد مراميها فيسهل بذلك قياسها ووصفها،، تأويلها وتفسيرها.

ويصنف الباحثون والدارسون المفاهيم إلى مفاهيم أوليّة وابتدائية ، ونعني هنا تلك المفاهيم التي تكتفي بذاتها وتعرب عن مدلولها بذاتها بحيث تستغني عن مفاهيم أخرى لتعريفها؛ "فتعريفها يكون ظاهرا وواضحا بحيث يمكن ملاحظته"، وأخرى لا تظهر معانيها ومدلولاتها إلا بالاستعانة بمفاهيم أخرى تتفرع عنها وتشتبك معها (نصر الدين، 2023).

ومن هنا يظهر أنّ للمفاهيم قيمة بالغة في البناءات والأنساق المعرفية ، فالمفهوم يختلف كما سبق عن الكثير من المصطلحات والكلمات القريبة منه والمجاورة له ، فللمفهوم خصوصيته وأهميته ودوره البارز في وضوح القضايا والاشكالات العلمية والمعرفية ، فالمفهوم يجنح إلى الموضوعية ، ويسعى لأن يعكس الواقع، فهو إلى العلم أقرب منه إلى عالم الأفكار وإلى لغة اليومي والمتداول والشائع أو الدارج ، ومن أجل هذا يتحتم أنْ يكون يكون هناك قدرٌ كبير من الاتفاق حول دلالة المفهوم على الأقل ضمن نطاق الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه المفهوم ، أو بين المشتغلين في نفس الحقل وهذا من أجل مزيدٍ من الدقة واليقين العلمي والمعرفي وكل خلل في هذا الجانب ، سيؤدي إلى التأثير سلبًا على النواتج العلمية التي ينتجها المشتغلون في هذا الحقل أو ذاك.

3. حتمية ضبط المفاهيم:

من الأمور المُتفق حولها في الفضاءات والميادين العلمية هي أن تكون المفاهيم واضحة الدلالة وبينة المعنى ، أي أن تكون العلاقة بين الدال والمدلول محددة وواضحة لا تقبل التعدد والتنوع ، وذلك من أجل مزيدٍ من الموضوعية والعلمية واليقين المعرفي ، وكل تقصير في هذا الجانب سوف يُفضي إلى فوضى وشواشٍ دلالي ينعكس لاحقا على نواتج العلم ومخرجاته ، مما يؤدي إلى أزمة تأويلية تضع المنتج والمتلقي للعلم والمعرفة في حيرة لا مخرج منها ، وينجر عن الأمر ذاته مشكلات في التواصل والتداول والتفسير والتأويل وسيادة الضبابية والغموض ، وفقدان القدرة على مقاربة الموضوعات والمشكلات والظواهر والحقائق، ومنه العجز عن اقتراح الحلول وبناء الأنساق العلمية والنظريات المعرفية، ولذلك اعتبر العلماء المصطلحات مفاتيح العلوم وعتبة المعارف، وهي خلاصة البحث في كل عصر ومصر، ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها يتلخص تطور العلم، ولهذا فإن تأثير المصطلح البالغ في الفعل العلمي خاصة والمعرفي عامة جعله ينال الأهمية القصوى في المنظومة المعرفية، إذ الحقول الابستيمية تتحدد بتحدد دلالات مصطلحاتها واستقرار مفاهيمها. وبقدر رواج المصطلح وشيوعه، يحقق العلم أو الحقل المعرفي ثبات منهجيته، ويأخذ طريقه الطبيعي للتطور والتقدم والارتقاء بفعل التراكم المعرفي ، والإخلال بهذا الشرط وهو الوضوح المفاهيمي في حقل من الحقول المعرفية أو في علم من العلوم كفيلٌ لوحده بإشاعة الفوضى الفكرية والمعرفية داخل هذا الحقل من جهة ، ومن جهة أخرى يصير عقبة كبيرة في سبيل بلورة النظريات والأنساق الفكرية والعلمية الكفيلة بتفسير الواقع أو اكتشاف الحقائق ، ولعل عالمنا العربي يشهد فوضى كبيرة وواسعة في المفاهيم والمصطلحات في مختلف الحقول المعرفية والعلمية وهو ما يعيق حتمًا مسيرة التطور والتقدم ، ويمنع اللحاق بركب الدول المتطورة والمتقدمة ، وقد رصدنا على سبيل المثال بعد

الاستقراء والتتبع لبعض الحقول المعرفية الناشئة والفتية في عالمنا العربي فوضى مفاهيمة وشواش مصطلحي منقطع النظير لا نعتقد أن هناك مجتمعات تشهد مثل هذه الفوضى المفاهمية وخاصة في جانب له علاقة بالعلم الذي يفترض فيه الدقة واليقين والصرامة والجدية وهو حقل علوم الاعلام والاتصال.

4. الشواش والعمى المفاهيمي في حقل علوم الاعلام والاتصال في البيئة العربية :

أعتقد أننا لن نضيف شيئا كبيرا ونحن نصف حالة الفوضى المفاهيمية في هذا الحقل في العالم العربي مقارنة بفضاءات جغرافية أخرى ، فقد تكفل عددٌ لا يحصى من البحوث والدراسات ببيان الفوضى العارمة التي يشهدها هذا الحقل وهذا الميدان من ، اضطراب مفاهيمي ومصطلحي ولعلنا نُدَلِّفُ مباشرة إلى تسليط الضوء على الأسباب التي تقف خلف هذه الفوضى وتلك الضبابية في المفاهيم التي تسود في الفضاء العربي ولعلّنا نجملها عبر المفردات الآتية:

1.4 تعدد واضعي المصطلحات في الوطن العربي:

إذ يوجد - على الأعم - مجمع للغة العربية في كل دولة عربية ، يتولى مهمة التوليد المصطلحي ،وفي غالب الأوقات لا يحدث التنسيق بين هذه المجامع إلا ما كان من مجاملات أخوية وديبلوماسية لا ترقى لمستوى العمل الجاد والهادف والتنسيق المشترك والمنتج، وبالإضافة إلى هذه المجامع توجد بعض الجامعات وبعض المنظمات العربية والاتحادات العلمية وأيضا بعض المترجمين أو المعجميين أو الباحثين المستقلين ممن يشتغلون على وضع المصطلح العربي ، وفي غياب العمل المشترك والتعاون بين هذه المؤسسات والهيئات والاتحادات وأولئك المختصين ، فمن الطبيعي أن يكون هناك اختلاف وتضارب بيّنٌ وواضح وكبير بينهم ، "فمثلا المصطلح الذي يترجم في الجزائر من الفرنسية ، قد يترجم مرة أخرى في المغرب ، ومرة ثالثة من الانجليزية في مصر أو في الأردن أو الخليج".

وهنا يظهر عدد من المصطلحات أو أكثر للمفهوم العلمي الواحد (علي، 2008، صفحة 201).

ففي دراسة استقرائية قام بها الباحث الجزائري المتخصص في علوم الاعلام والاتصال" نصر الدين لعياضي " وقد شملت 80 بحثا من مختلف الدول العربية التي تناولت الشبكات التواصل الاجتماعي الافتراضي ، توصل من خلالها إلى وجود فوضى واضطراب مفاهيمي كبير ، فمثلا وجد اختلافا كبيرا في ترجمة تسمية هذه الوسائط عند الباحثين العرب حيث يقول : (...تؤكد بعض البحوث في المنطقة العربية على التباين الواضح في استخدام المفاهيم والمصطلحات التي تناولت التحولات التي يعيشها قطاع الإعلام والاتصال. فمن "الإعلام الجديد" إلى "الإعلام البديل" مرورًا بـ"الإعلام الإلكتروني"، كما دلّنا فحص دراسات الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية على المفاهيم التالية: مواقع التواصل الاجتماعي، ووسائل التواصل الاجتماعي، ووسائط التواصل الاجتماعي الإلكترونية، ووسائل الإعلام الرقمي، ومواقع الميديا الاجتماعية، والميديا الاجتماعية، والإعلام الجديد، ووسائل الإعلام الاجتماعي، ومنصات التواصل الاجتماعي، وشبكات التواصل الرقمية، وشبكات التواصل الاجتماعي، والشبكات الاجتماعية، وشبكات التواصل الإلكتروني، وشبكات التواصل الاجتماعي الرقمية، ووسائل التواصل الإلكتروني، وأدوات الاتصال الجديد، ومواقع الشبكات الاجتماعية عبر الإنترنت، والشبكات الاجتماعية الافتراضية، ووسائل الإعلام الحديثة، والمواقع التفاعلية، ووسائط الإعلام الجديد، والميديا الجديدة.

وعلى الرغم من كل الجهود الساعية في توحيدها في مفهوم واحد ينال إجماع الدارسين والباحثين والمهتمين ، مثل ما يحصل في الكثير من البلدان الغربية ذات التقاليد العلمية العريقة ، إلَّا أنّ هذه الجهود والمساعي قد فشلت في معظمها ، بل لم تستطع هذه الهيئات والمجامع من توحيد المصطلحات في حدود دولها بَلْهَ في الفضاء العربي كله، بل إننا نجد هذه الفوضى والتضارب في المفاهيم حتى ضمن البحث العلمي الواحد وعند الباحث ذاته.!

فإذا توقفنا مثلا عند الأمثلة التي أوردناها أعلاه والتي تخص ما يعرف بالمجتمع الافتراضي ، فإننا نجد أن هذه المفاهيم العديدة والمختلفة لا تكشف عن هذا الواقع كما هو ولا تعكسه تماما ، فكل مفهوم يستهدف جانبا من هذا الواقع دون أن يكشف عما يختلف به عن المفاهيم الاخرى التي يبدو أنها مجرد ألقاب تكتفي بالاشارة دون الكشف عن حقيقة الوقائع المرادة

وضمن هذا التباين لاحظ بعض الباحثين أن المفاهيم التي "اشتغلت عليها" بحوث "الوسائط الاجتماعية" تعاني من التعدد والتضخم . والذي يظهر أنه لم يستطع مجاراة التطور السريع والمتلاحق الذي يحدث على مستوى تكنولوجيات الانترنت ، وهو ما يجعل هذه المفاهيم ذات طابع مؤقت ، لا تلبث أن تحل محلها مفاهيم ومصطلحات أخرى ، لتؤطر عملية التفكير والبحث والدراسة في مجال " الوسائط الاجتماعية " ، وهو ما يعرقل ويمنع من وجهة نظرنا عملية التراكم البحثي والمعرفي والذي يعتبر أكثر من ضروري لانتاج المفاهيم القارة والثابتة ذات المدلولات الواضحة والدقيقة والمحددة . لذا نرى أن الحاجة تستلزم فتح حوار علمي حولها للكشف عن رهاناتها المعرفية والفكرية (نصر الدين، 2023).

2.4 استقاء واستعارة الدلالات والمفاهيم من الصحافة :

الملاحظ في البيئة العربية أنّ المفاهيم المتداولة في الحقول المعرفية مستقاة من اللغة الصحفية التي يتم تداولها عبر مختلف وسائل الاعلام والاتصال ، وكما يعلم الجميع فإنّ اللغة الصحفية لغة وظيفية لا علاقة لها بالحقول العلمية والمعرفية ، فهي لا تبتغي الدقة في كل الأحيان وفي كل الأوقات ، كما أنها لم تخضع لاختبارات الصدق والواقعية التي تتم على المستوى التجريبي والميداني ، ولذلك هي تفتقد للدقة والموضوعية ، لكنها تحوز في الوقت ذاته على سلطة ونفوذ واسع بحكم قدرتها على نشر واشاعة مفاهيمها ومصطلحاتها على نطاق واسع هذا من جهة ، ومن جهة ثانية قدرتها على تعميق وترسيخ وتثبيت هذه تلك المفاهيم نتيجة تكرارها واستخدامها المتكرر ، اضافة إلى ذلك أنها تستهدف عددا كبيرا من المتلقين نتيجة جماهيريتها العريضة.

إنّ ترك الحبل على الغارب لهذه المؤسسات والجهات غير العلمية لصك المفاهيم وتقرير الدلالات، سيؤدي حتما إلى فوضى واضطراب كبيرين في كل الحقول العلمية، ويجردها منها طابعها المعرفي والموضوعي وينزع عنها صفة العلمية ، ويطيل في ذات الوقت هذا الشواش المعرفي والعمه المفاهيمي ، والضبابية المصطلحية.

3.4 النزعة الإقليمية :

إنّ الحدود الجغرافية المفتعلة بين الدول العربية بفعل السياسات الاستعمارية ، ترك أثره واضحا فيما بعد على ميادين وجوانب أخرى من حياة هذه الشعوب ، إذ أضحى كل بلد يعمل مستقلا عن البلدان الأخرى ، وقد انسحب هذا حتى على حقول العلم والمعرفة ، فهذه القطيعة الجغرافية ، دفعت بفعل إكراهات الواقع باحثي كل دولة أو قطر

عربي للانطواء على الداخل والتفكير في إطار القطرية والوطنية، وهو ما كرّس هذا الشرح وعزّز هذه الفوضى المفاهمية بين الباحثين العرب على أقل تقدير.

4.4 عطالة العقل العربي:

إنّ استقراء بسيطا لواقع المثقف العربي يُظهر له مدى هرولته لتقليد المثقف الغربي والحرص المحموم لاجترار ما ينتجه ذلك المثقف ومؤسساته من مفاهيم ومصطلحات ومدلولات ، إذ لا يزال المثقف العربي يؤكد ما أقره المفكر العربي " سمير أمين" في نظريته حول المركز والهامش ، كما أنّ تقرير ابن خلدون مازال فاعلا وصالحًا لتفسير العقل العربي والسلوك العربي ، فعلى الرغم من التطور العلمي الهائل في كل الحقول المعرفية، لم يستطع هذا هذا العقل التخلص من عقدة الانبهار وربما من عقدة النقص التي لازمته منذ عصر النهضة ، وهو ما يوجب السعي لتفكيك هذا العقل واعمال مباضع البحث والدرس في مسلماته وآلياته التي يشتغل بها ويتدبر عن طريقها ، فالعقل العربي مازال بعيدا عن انتاج المعرفة وصياغتها بل مازال مجرد مستهلك لما ينتجه الاخر ، وهذا سيؤدي حتما إلى رهن معارفه ومدركاته بشيء خارج عنه ولا علاقة له به .

ولعل إلقاء نظرة عابرة على النظريات والأنساق في علوم الاعلام والاتصال كفيلٌ باعطاء صورة واضحة ومكتملة عن مدى عطالة العقل العربي في إنتاج المفاهيم والدلالات والاضافات العلمية والمعرفية، وإذا حدث وأن اجتهد مجتهد في الفضاء العربي وصك مفهوما أو مصطلحا أو شاد بناء نظريا فسينظر إليه باستخفاف وسيجابه باللامبالاة والتجاهل والازدراء وهو ما حدث مع عبد الرحمن عزي الذي حاول تشييد نظرية قيمية في الاعلام فجوبه بالرفض واللامبالاة من أغلب المفكرين العرب في هذا الميدان.

إنّ الاعتماد على الغرب في صناعة المفاهيم والمعرفة وتدويرها يعتبر أحد المعوقات والمطبات والعقبات التي مازالت تحول دون تصفية وتخلية الفضاء العربي من الفوضى المصطلحية والمفاهيمية التي تحول دون إنتاج الأنساق والنظريات والمفاهيم الموحدة والتخلص من الضبابية والشواش والفوضى التي تسود هذا الفضاء الجغرافي المترامي الأطراف.

5.4 التخلف العلمي والتكنولوجي :

إنّ غياب العمل العربي المشترك في مختلف الحقول المعرفية والعلمية ، أطال عمر الأزمة وعمقها بشكل كبير ، وجعل من مختلف الجهود المبذولة ، والمساعي المقدمة غير ذات جدوى ، فإلى الآن ورغم التطور التكنولوجي الكبير وغير المسبوق ، لا تزال المؤسسات العربية والهيئات المعنية بصناعة المفاهيم ، والاشتغال على المصطلح بعيدة عن استغلال ذلك التطور التقني في الربط بين مختلف الاقاليم العربية وتوحيد الجهود لازالة فوضى المفاهيم والمصطلحات ، ملاحظة بسيطة وعابرة من اجل استشفاف طريقة عمل هذه الهيئات ، يكتشف أنها مازالت تشتغل بطرائق وأساليب القدماء من علماء علوم العربية ، ولذلك لا نراها قد تقدمت خطوة، وهذا لأنها بعيدة عن العقلانية التي من أهم مزاياها استغلال منجزات العصر وأدواته التي أصبحت متاحة بأشكالٍ مختلفة.

إنّ التخلف في أي مجال من مجالات سينعكس حتما على باقي المجالات ، وهذا ما نشاهده ونعاينه في الفضاء العربي ، فالتخلف التكنولوجي الذي يعتبر سمة أغلب الدول العربية ومؤسساتها ، اعكس بشكل كبير على ما نحن بصدد

الحديث عنه ، وهو ميدان العلم والمعرفة وتحديدا حقل صناعة المفاهيم والمصطلحات ، وإلا كيف نفسر عدم وجود عمل عربي محوسب في مجال المفاهيم.

إنّ غياب هذه الروح ، وكذا غياب المشاريع والأهداف الواضحة ، وغياب ثقافة العمل العلمي والمشترك، وتوحيد الرُؤى ، سَيُديم الأزمة ويعمق المشكلات ، ويمنع التطور الطبيعي والتراكم العلمي والمعرفي في الفضاء العربي. .

6.4 العفوية والاعتباطية في وضع المصطلح :

إنّ أهم ما يتسم به وضع المصطلح العربي طابعه العفوي والاعتباطي والتعسفي ، أي عدم تقيده بقواعد ضابطة ، تتحكم في لفظه ومدلوله وشيوعه ، وقد أدى هذا الاعتباط إلى كثير من النتائج السلبية، وإلى الشواش والفوضى والعمه والضبابية ،وعدم اتساق المخرجات والنواتج المفاهيمية حول المدلول الواحد .فالمصطلح في الفضاء العربي مازال إلى هذا اليوم مصطلح هلامي لا حدود واضحة له ، إذْ أنّ نحت المفاهيم هو في الغالب مسعًى فردي وشخصي يسعى فيه أفرادٌ بعيدًا عن ثقافة المؤسسة والعمل الجماعي، فالباحث العربي غالبًا ما يشتغل منفردا بعيدا عن ثقافة البحث الجماعي ، فهو يشتغل دون قيود أو ضوابط الجماعة ، فالمصطلح في لغة العرب موكولٌ إلى السياق والسباق واللحاق ، وهو ما أفقد لغة البحث العلمي الدقة والتحديد والضبط الدقيق تجد الكاتب أو الباحث العربي كثيرا ما يُطلق العنان لنفسه ولقلمه في صك المصلحات والمفاهيم ، وتحميلها من الدلالات الشخصية الشيء الكثير ، فهو يُوكِل في الغالب القارئ إلى السياق ، أما الدلالات الدقيقة والمحددة فهي من الأمور اللامفكر فيها ، فقد تعود الكتاب في البيئة العربية على هذه الفوضى ، وبالتالي هم في مأمن من المساءلة والتثريب ، وهذا الأمر نجده ونلاحظه حتى في الرسائل والبحوث الأكاديمية التي من المفروض أن تكون أحرص على الدقة والضبط والتحديد

7.4 غياب السلطات اللغوية والهيئات الرقابية :

إنّ غياب سياسات لغوية واضحة ، وضوابط وقواعد بينة لوضع المصطلح وتحديد الدلالات وضبط المفاهيم، مع غياب سلطة لغوية صارمة ، أو هيئة رقابية علمية تضع الشروط وتشرف على هذا الجانب ، وتراقب ما يحدث في الساحة العربية ، وتقرر الصواب وتنفي الدخيل والخاطئ والمنحرف والشاذ ، كل هذا أدى إلى الكثرة والتعدد الذي نشهده على مستوى المفاهيم والدلالات والمعاني ، إذ صارت كل هيئة أو كل مجمع أو كل باحث أو دارسٍ أو كاتبٍ يقرر المدلولات والمفاهيم والمصطلحات التي تروق له أو تبدو له وهو ما زاد الوضع تأزيمًا وساهم أكثر في انتشار الفوضى المفاهيمية.

8.4 التضخم الهائل في المفاهيم والمصطلحات :

إنّ التضخم الهائل الذي تشهده الساحة العربية في جانب المفاهيم والمصطلحات لا يعد حالة صحية ، وقد كان من الممكن أن يكون كذلك لو كان هذا التضخم ناتجا عن التطور الطبيعي للعلم والمعرفة في هذا الفضاء ، لكنه تضخم شكلي وصوري ناتج عن الفوضى المفاهيمية والشواش المصطلحي جراء غياب التنسيق والعمل المشترك ، فهو تضخم سلبي لا طائل من ورائه ، ولا فائدة تُرتجى منه، (فالتضخم المصطلحي ليس سمة ينفرد بها عصرنا وليست كذلك حصيلة قلة استعداد لغتنا لتقبل مفاهيم ومصطلحات جديدة، بل إنه إشكالية أساسية طرحت نفسها على مر العصور وما تزال (هنري و فيليب، 2009، صفحة 19).

9.4 تهميش التراث العلمي العربي :

إنّ تهميش التراث العربي في شقه العلمي والمعرفي والذي يتعبر من أغنى المراجع المعرفية وأكثرها ثراءً بالمفاهيم العلمية والمصطلحات المعرفية الدقيقة والمضبوطة المعنى ،" فالباحثين العرب يضعون اليوم بعض المصطلحات التي سبق وأن وضعت على وجه مختلف من تراثنا العلمي ، وهذا نوعٌ آخر من ازدواجية المصطلحات (عائشة، 2016، صفحة 163).

5. خرائط وطرائق وآليات القضاء على فوضى المفاهيم في الفضاء العربي :

إنّ تحديد الأسباب والظروف والعوامل التي تقف وراء فوضى المفاهيم والتضخم المصطلحي في الفضاء العربي عموما وفي حقل الاعلام والاتصال خصوصًا ، أولُ خطوة في سبيل تخلية وتصفية هذا الفضاء من حالة الشواش والضبابية المفاهيمية والمصطلحية التي تكتنفها ، وفي الحقيقة إنّ القيام بهذا العمل والنجاح فيه هو عملٌ مؤسسي في المقام الأوّل ، وهنا نعتقد أنّ الفضاء العربي عمومًا يحوز من الامكانات المادية ما يفيض حتى عن الحاجة في سبيل تحقيق هذاالمشروع والذهاب به بعيدًا ، فقط يكفي الايمان بالفكرة ووجود تخطيط جاد وعقلاني بعيد المدى ، فما ينقصنا في العالم العربي هي الارادة والرغبة والعمل الجاد ، وهو كفيل بعد ذلك بتحقيق نجاحات وانجازات سريعة ومجدية في هذا الجانب.

إنّ وجود الرغبة والنية والعمل الجاد كل هذا سيضمن الوصول إلى الأهداف المأمولة والمرجوة ، خاصة وأنّ هناك تجارب عالمية في فضاءات أخرى ناجحة يمكن الاستفادة منها والسير على هدى خبراتها وتجاربها ، فتوفر الخبرات والتجارب والطرق والمناهج والأساليب المجربة من قبل مجتمعات أخرى كفيل بالاقتصاد في الطاقة والجهد والوقت ، وهو ما يضمن إلى حدٍ بعيد نجاح المشروع والوصول به إلى حدوده القصوى ، ومراميه البعيدة ، ولعل النجاح في الخطوات الأولى والأهداف القريبة سيغري بالمزيد من العمل وبذل الجهد والسعي للوصول إلى الأهداف الكبرى ، كما أنّ استغلال التطورات الكبيرة في مجال التكنولوجيات والتقنية وعلم الحواسيب والبرمجيات كفيلٌ وقمينٌ أيضا بالوصول للأهداف المرجوةوالمسطرة.

ولعلنا عبر المفردات الآتية نقترح بعض الحلول والمخارج من هذه الفوضى المفاهيمية:

1. تأسيس أكاديمية عربية جامعة ترصد لها امكانيات مادية كافية وكوادر بشرية ذات كفاءة عالية تكون مهمتها ضبط المفاهيم العلمية وتوحيدها في الفضاء العربي.
2. تكوين هيئة اعلامية توكل لها مهمة توحيد المفاهيم واشاعتها على نطاق واسع مع ربط علاقات مع وسائل الاعلام العربية ، وتكون هذه الهيئة منبثقة عن الأكاديمية العربية السالفة الذكر.
3. إنشاء هيئات وسلطة لغوية رقابية تكون مهمتها الأساسية مراقبة المجالات التداولية ، مع منحها سلطة تقريرية، مع إلزام الهيئات العلمية والمؤسسات المعرفية والادرات والمؤسسات الاعلامية بالرجوع إليها واتخاذها مرجعًا لتحديد المفاهيم.
4. إنشاء قواميس مرجعية جامعة تكون مهتمها توحيد المصلحات والمفاهيم ، ونفي الدخيل والشاذ.
5. وضع بروتوكلات المناقشة العلمية للرسائل الاكاديمية ، مع وضع دليل متجدد في كل حقل معرفي واشاعته بين الكتاب والمثقفين وفي المؤسسات العلمية.
6. تأسيس هيئة عربية رسمية مهمتها توحيد المفاهيم في البرامج التربوية في الحدود الدنيا.

7. تأسيس هيئات عربية للترجمة مهمتها مراقبة الأعمال المترجمة مع مساعدة المترجمين ومرافقتهم في أعمالهم.

6. الخاتمة :

لاشك أنّ الرهانات التي تُعقد على مختلف الحقول المعرفية في الجغرافيا العربية في تحقيق التقدم والتطور العام، أمر يكاد يكون محل إجماع بين مختلف الباحثين والمفكرين والمشتغلين على هذه المفردات، ومن هنا وجب توفير كل الشروط والظروف اللازمة والضرورية لتحقيق هذه الأهداف الكبرى ، ولعلّ الاهتمام بجانب المفاهيم وتخليصها من حالة الفوضى والضبابية التي وصلت في بعض الأحيان إلى حد التضارب والتناقض في البيئة العربية بل إنّ هذه الفوضى نجدها على مستوى القطر الواحد ، بل إنّ الأمر وصل إلى وجود تضارب في البحث الواحد وعند نفس الباحث والدارس ، وهذه الأمر لا يسمح من دوك شك من إقامة نهضة علمية ، كما لا يسمح في الوقت نفسه من انغراس تقاليد علمية ومعرفية ومنهجية متقدمة، وفي الوقت نفسه يعيق عملية مواكبة التطورات التقنية والتكنولوجية المتسارعة جدا ولا برصد ومزامنة التغيرات الاجتماعية السريعة والرهيبة والتي وصفها " جان بورديار " بالقيامة الثقافية " وهذا بفعل التطور التكنولوجي الرهيب ،

أي أن الرهان كبيرٌ وقوي على العلم والمعرفة في تسريع حركة الواقع في في البيئة الجغرافية العربية.

كما أنّ إقامة تقاليد بحثية في الحقول المعرفية عامة وفي حقل الاعلام والاتصال خاصة وهو ما يتناغم مع أهداف هذا الملتقى الذي وُفِّق إلى حد بعيد في إثارة الكثير من الأسئلة ، وإعادة طرح الكثير من الاشكالات التي كانت ضمن إطار اللامفكر فيه ، يقتضي البدء بالجانب المفاهيمي فالعلوم هي في النهاية جهاز من المفاهيم المجردة عن الواقع.

7. المراجع:

1- الطيب، بوعزة، (2020)، في مفهوم المفهوم ومحددات المقاربة المفاهيمية، https://www.mominoun.com/articles(2020)

2- نصر الدين، لعياضي (2023)، المفاهيم في بحوث الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية: رهانات التعريفات، https://studies.aljazeera.net/ar/article/5611(2023)

3- علي، القاسمي، (2008)، علم المصطلح : أسسه النظرية وتطبيقاته العملية ، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

5- هنري، بيجوان. وَفيليب، توارون (2009)، ترجمة: ريما خاطر، المعنى في علم المصطلحات، لبنان، المنظمة العربية للترجمة.

6- عائشة، طاوس، (2016)، فوضى المصطلح في الساحة العربية مشكلات وحلول ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، العدد 16/ جوان 2016، ص 154-169.